

٦ - النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

المرأة:

ومما آخذ على الكالين خطتهم في تربية النساء ، فقد أخذوا بيد المرأة التركية ، ربة الدار الطاهرة ، وأم الأشبال الياسلة ، فقادوها إلى المراقص ، والملاهي ، ومجالس السمر أخذاً بسنن أوروبا ؛ وسما هذا تبحراً للمرأة وانصافاً لها واعظافاً ، واعترافاً بقدرها ، كأن المرأة لاتكون حرة إلا إذا هجرت الدار ، وعمرت المراقص ، وأهملت أطفالها لتجالس سمارها ، وتركت سكينه الدار وسعادة الأسرة ، إلى ضوضاء الملاهي ونزاع الحافل ؛ لست آخذ على الكالين أنهم تركوا المرأة تنسبي المراقص اختياراً ، ولم يردوها إلى الدار قسراً ، بل آخذ عليهم أنهم هم دعوها إلى ذلك ، وحرصوها عليه ، وزينوه لها ، بل ألزموها به بعض الالتزام حين نظروا شراً إلى الموظفين الذين لا يأخذون زواجهم باتباع التنن الجديدة ، ويريدونهن على مسيرة النهضة النسوية ، ويروضونهن على أفانين الميشة الأوربية فعل الكالين هذا تقليداً لأوروبا وتقرباً إليها ، واستحياء من الاستمسك بأداب لا يعرفها الغربيون ، والابقاء على سنن يتكرها السادة الأوربيون . ثم زادوا تقرباً حين أباحوا تروج السلعة من غير المسلم ، وقد عاشت المرأة التركية حقياً ترى واجبها أن تربي أشبالها للدفاع عن قومها ودينها ، وحماية تاريخ الاسلام والتوك ، وترى نفسها أعز وأرفع من أن يلبى أمرها غير مسلم ؛ وكانت هذه الكبرياء عصمة لها ولقومها في المحن التي انتابهم ، والفتن المحيطة بهم ، وفي هذا النزاع ، نزاع الحياة والموت النائر بين الشرق والغرب . فذهبت هذه « النهضة » بكبريائها ، ومعت ما أورثها الاسلام والتاريخ من عزة وإباء

وأثم الكالين اعظام المرأة وتحريرها بأن فتحوا دوراً للبنايا فساروا بعض الأمر الأوربية ، وشادوا مصر الاسلامية في وصمة العار ، وصحة الخزي ، التي تحاول اليوم أن تحوها عن جبينها . وقد بلغ من اعتدالهم بما فعلوا ، وافتخارهم بما اقرؤوا

ماتيين عنه القصة الآتية : حدثني من لا أرتاب في صدقه قال : كنت على ظهر سفينة من عابرات المحيط ، ذاهباً إلى المؤتمر البرلاني في البرازيل ، وكان على السفينة جماعة من ممثلي الدول يؤمون المؤتمر ، وكان فيهم مندوبو الحكومة التركية ، فجلسنا صراحة نتحدث ، وذهب بنا الحديث مذاهب حتى قال مندوب تركي مفتخراً متبجحاً : لقد أنفقنا كذا وكذا في بناء دور نفقة رائعة للبناء (وذكر مقداراً من المال عظيم جداً ، لا أذكره الآن) قال محدثي : فلما قام صاحبنا نظر مندوبو الدول الأوربية بمضهم إلى بعض ساخرين متمججين يقولون : ماذا يريد أن يقول هذا الرجل ؟

لا يحسبني أحد مجادلاً في سفور المرأة واحتجاجها فيقولون فيم يجادل هذا الجاهل ؟ لقد سبقته المدنية مراحل كثيرة فجداً الناس اليوم في اللبس والعري . لا يقولون أحد هذا فاني لست أنكر على المرأة أن تأخذ طريقها طليقة رشيدة ، تصرف أمورها وتقوم بقسطها في الأمور العامة والخاصة على قدر ما تمكنها أعمال الدار والقيام على الأسرة . ولست أنكر أن الاسلام منح المرأة من الحقوق ما لم تنظر به نساء أمم في أوروبا حتى اليوم . لا أنكر هذا ولا أجادل فيه ، ولكنني أضمن للمرأة أن تنزل عن عرشها في أمرتها لتتبدل في الطرق والساح والمراقص ، وأشقق عليها أن يخدمها الرجال لحاجات في أنفسهم فيزينوا لها كل ما تنزع إليه مآربهم ، ثم يكذبون فيذكرون الحرية والحق والاصلاح والكرامة ومحو هذا من الكلمات الكاذبة الخادعة ، الثائرة الرانجة في هذا النصر . أيها الناس لا تخدعوا أنفسكم ولا تبهجوا أن لهُو المدنية الحاضرة يدور معظمه حول جسم المرأة في الطريق والرقص والسرحة وشاطئ البحر . وحسب المرأة ذلة وهواناً أن تكون العوبة الرجال حينما شاءوا وكيف شاءوا . ويبد فهذا أمر لا يبالغ بكلمات ، ولا ينفذ بيانه في صفحات ، فحسبي أن أتناوله مجملًا موجزًا لا معدداً مناهج النهضة التركية الأخيرة

ويقضى المقام هنا كلمة موجز عن نساء مصر : تغيرت المرأة

حق ، وهو سلوتها في الأزمات ، وهو منهل عواطفها وغذاء روحها . لقد حرمت المرأة من المسجد فحرم أبنائها وبناتها من العاطفة الدينية . لأن الأم - غالباً - هي مصدر هذا الإيماء ، وإذا انحرفت صرة فلم تجد المسجد يهدمها ويعزبها ، جمحت وغوت . فعلى الآن بين بيت وملهى ولا مسجد بينهما يُذهب ملل البيت ويكسر من حدة اللامحى »

فليت شعري ما رأى سيداتنا في هذا الكلام ؟ اليس الاهتمام بالمسجد في حالتنا الحاضرة أولى من الاهتمام بالوثائق التي يحرصن عليها ويحاولن فيها أن يسبقن نساء أوروبا ؟ أذكر أن وفدنا من سيداتنا المصريات ذهب إلى مؤتمر نسائي كان في رومية - فيها أذكر - فهل تدرى فم تكلم الوفد ؟ تكلم في « حقوق الطفل غير الشرعي » !!

وأنا أترك القارى نفسه هنا يبدى ما يشاء ويقول ما يريد في هذا الموضوع . وفي هذا العام ذهب وفد للمشاركة في مؤتمر نسائي اجتمع في اسطنبول ، فنادين باسم المرأة المصرية أنهن راضيات مشتبطات بما اختطه الكاليون للمرأة التركية ، وبكل ما فعله الكاليون . وتطوعت زعيمتهن فقالت للغازي مصطفى كال باشا : إنك تسميت « أتاتورك » وأنا أسميك « أتاتورك » وليس يهمني هنا أنها منحت النازي لقباً لا معنى له في اللغة التركية ، فان معنى أتاتورك : التركي الأب ، فعنى « أتاتورك » على هذا القياس الشرق الأب وهو كلام لا معنى له . ليس يهمني هذا الضلط اللغوي ولكني أقول إن الوفد النسائي ما كان يبين عن آراء المرأة المصرية ، ومعظم المصريين من نساء ورجال لا يرضون مذاهب الكاليين في المرأة ولا غيرها . ومعظم الشرقيين لا يرضون لأنفسهم مذاهب الكاليين ، بل معظم الترك لا يرضونها ، فان كانت الزعيمة أرادت أن تقول إن النازي صار بعمله أباً للشرق كله فعلى أبوة لا يعترف بها الشرق ، وهي « أبوة غير شرعية » والكلام فيها كالكلام في الطفل غير الشرعي

لست ، يعلم الله ، أحاول بهذا توهين المساعي النسائية في مصر ، ولا تهوين أمرها على الناس ، ولا الزرابة على أحد من التصديبات لها ، وما أريد لمن إلا الكرامة والرشد ، والنصح والظفر ، ولكن علينا أن ننصح ما استطننا وأن نبين الرشد والتي

المصرية في السنين الأخيرة تغيراً عظيماً . وبعض هذا التغير خير لا صراء فيه ، فقد تعلمت وبصرت بمناهج الحياة ، وهذا صلاح وخير ؛ ولكن ما يسمى النهضة النسائية في مصر تشوبه شيات من الضلال ، وألوان من أفن الرأي وخدعة الهوى ، ويلتبس الخير والشر في كثير من جوانبها : في مصر جماعة تتكلم عن نساء مصر كل حين ، وتدعى أنها تنطق بألام المرأة المصرية وآمالها ، وهي على ذلك لا تمثل إلا جماعة من النساء من أقرب إلى أوروبا من مصر ، وأشبه بالأجنبيات منهن بالمصريات . وأما المرأة المصرية كما تراها وكما نود أن تراها فلا تمثلها هذه الجماعة إلا بزعمها ؛ هي جماعة كثيرة القول والعمل في الجوانب اليسيرة البراقة التي لا تكلفها إلا السلام والاجتماع من حين إلى حين ، وأما جوانب الإصلاح المسيرة التي تقتضى كد الفكر واليد وهجر الراحة والرفاهية : جوانب الإصلاح الخلقى والدينى التي تحول بين الناس وبين كثير من رغائب الدنيا الأوربية ، فليس للجماعة غرام بها ، ولا صبر عليها . لا ريب أن للجماعة أهماً مشكورة في تربية الفقيرات والحديث عليهن ، ولكن أبرز أهملها أن يجمع الشواب من بنات الأيسر الراقية للثناء والرقص وامتاع النظارة بضروب من المناظر وهلم جرا . بضربن بذلك للمرأة المصرية أسوأ الأمثال ، ويدعونها إلى شر الخطط ، ومحطمن في ساعات ما وطده الأمة في أجيال

كثيراً ما سألت أحماني : لماذا لا تدعو هذه الجماعة إلى طريقة خلقية رشيدة ، أو سنة دينية حميدة ؟ لماذا لا يطالبن - مثلاً - أن يكون للنساء الحق في غشيان المساجد أحياناً ليوعظن ويملمن ما منح الإسلام المرأة من حق ، وما فرض عليها من واجب ؟ وقد اطلعت في عدد الرسالة الأخير على كلمة للأستاذ أحمد أمين « حول المسجد » أخفف عن نفسى بنقل شذرة منها ، قال : « بل لم لا يكون المسجد مهبطاً للمرأة كما يجب أن يكون مهبطاً للرجل . فيخصص مسجد كل حي وقتاً لنساء الحي تعلم فيه المرأة واجباتها الدينية والاجتماعية ، وتنفقه فيه في دينها ودينها ، وترشد فيه إلى طرق إسعاد البيت ، وتثارمها إلى المطف والاحسان وتنظيمها . فالمرأة الآن محرومة من غذائها الروحي والديني لأنها بعيدة من المسجد ، حرمت منه من غير